



جبريمي كليفت يقدم لمحة عن شخصية المُنظِّر الاقتصادي أفيناش ديكسيت

حوار أجري معه في بيته الذي يملكه في مدينة برنستون في ولاية نيوجيرسي: «إن هذه الإستراتيجية في رأيي هي إحياء لنظرية المباريات. فكما قال شيللنغ: «إذا التقت شاحنتان محملتان بالديناميت على طريق مفرد، أيهما تتراجع؟»

المرح في التعلم

بصر ديكسيت على أن تعليم نظرية المباريات يضيف حتما شعورا بالمرح - فقد فاز بجوائز على براعته في التدريس - وهو يحاول شرح المفاهيم الأساسية بحكايات من الأفلام والكتب والحياة الواقعية.

ويقول داني رودريك، أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي في جامعة هارفارد، إن ديكسيت هو أفضل مدرس تلمذ عليه على الإطلاق - فهو لم يتعامل مع أي شيء بوصفه بسيطا أو واضحا. وأضاف رودريك «مهما بدا السؤال سخيفا، كان يتوقف ويرفع يده إلى ذقنه، وتضيق عيناه، ويفكر فيه طويلا، في حين تدور أعين بقيتنا في الفصل عجا من غباء السائل». ثم يقول: «أه، لقد أدركت ما جال في ذهنك». ويستفيض في الإجابة على سؤال عميق ومثير للاهتمام لا يخطر للطالب أنه قد وجهه».

ويقول كالا كريشنا وهو طالب سابق وحاليا أستاذ اقتصاد في جامعة ولاية بنسلفانيا: «إن ما يجعله فريدا هو أنه يرى أكثر من أي شخص آخر عرفته - علم الاقتصاد جزءا لا محيص عنه من الحياة: من الكتب، ومن الأفلام، ومن المساومة مع سائق التاكسي - فكل شيء به محتوى اقتصادي. إنه حقا يعشق علم الاقتصاد، ويمكنك تبين كم يستمتع بممارسته».

ويشيد آخرون بذكائه. فقد قال ستيفن ليفيت - المؤلف المشارك في الكتاب الأكثر مبيعا المسمى "Freakonomics" إن «أفيناش ديكسيت واحد من علماء الاقتصاد الأثيريين لدي، جزئيا لأنه يتسم بسمة نادرة للغاية بين علماء الاقتصاد، ألا وهي أن لديه روح الفكاهة».

«إن النصر حليف كل من ينظم الأمور جميعا - والناس يدعون ذلك حظا. والهزيمة مؤكدة لمن يهمل اتخاذ الاحتياطات اللازمة في الوقت المناسب، وهو ما يُسمى بسوء الحظ».

- من كتاب «القطب الجنوبي» بقلم روالد اموندسن

قد يبدو غريبا أن يكون لدى أفيناش ديكسيت، الذي نشأ في أتون حرارة الهند الاستوائية، رف في حجرة المعيشة عليه كتب مرتبة بصورة دقيقة وأنيقة عن البعثات الاستكشافية إلى القارة القطبية الجنوبية التي يحاصرها الجليد. لكن أستاذ جامعة برنستون الذي تتسم ملامحه بالحكمة لديه تفسير بسيط لذلك وهو «إنها مثالية لتفسير إستراتيجيات نظرية المباريات. فغالبا ما تنطوي أي حملة استكشافية على عيب قاتل يكفل هزيمتها مقارنة بالمنافس الذي يحالفه النجاح».

ويقول أيضا: «البريطانيون مثلا اعتقدوا أنهم يعرفون كل شيء وأنه ليس هناك أي شيء يتعلمونه من غيرهم» قالها وهو يعد الشطائر للغداء في مطبخه المجهز تجهيزا بسيطا وأضاف «واعتقد القبطان سكوت في بعثته الاستكشافية للقطب الجنوبي مثلا أن الهيكل الهرمي للبحرية البريطانية هو الأسلوب الصحيح لتنظيم فريقه، في حين أن تنظيمًا قائما على المشاركة وأكثر انفتاحا كان أفضل للمحاولة المشؤومة التي قامت بها مجموعته الصغيرة للوصول إلى القطب الجنوبي».

وديكسيت الذي يشبه البحث الأكاديمي بتسلق الصخور - أي «المنظر المثير من أعلى» الذي يجعل الأمر جديرا بكل العناء - نصير متحمس لنظرية المباريات ويحاج بأنها أصبحت جزءا من إطار علم الاقتصاد الأساسي.

لقد انجذب إليها عندما اكتشف إستراتيجية المنازعات (The Strategy of Conflict) لتوماس شيللنغ، وهو من رواد مدرسة التفاوض. وقال ديكسيت في

دح ومباريات

تأثير ضخهم

هزت نظرية المنافسة الاحتكارية نظرية التجارة الحديثة التي عزاها بيتر نيري عالم الاقتصاد في جامعة أكسفورد إلى «عامل واحد يعلو فوق العوامل الأخرى جميعها» وهو تطوير «نموذج ممتاز ومقتصد للغاية» على أيدي ديكسيت وستيغلز.

ولم يطبق الثنائي ابتكارهما إلا على السؤال الكلاسيكي في التنظيم الصناعي، وهو هل ستغل الصناعات المتنافسة على نحو احتكاري مستوى أمثل من تنوع الإنتاج؟ لكن في خلال بضع سنين قليلة، طفق كثيرون يطبقون هذا المنهج على التجارة الدولية.

وقد اعترف ديكسيت إلى وارث بأنه لم يكن يتوقع هذه التطبيقات الواسعة للنموذج. وقال: «كنت أنا وجو نعرف أننا نقوم بشيء ما في بناء نموذج طبع للتوازن العام مع المنافسة غير الكاملة، لكننا لم ندرك أنه ستكون له مثل هذه الاستخدامات الكثيرة - ومن الواضح، أنه لولا هذا لكتبنا كل تلك الأبحاث اللاحقة بأنفسنا».

وتحدث ماساهيسا فوجيتا، وكروغمان، وأنطوني فينابلز في كتابهم المعنون، الاقتصاد المكاني (*Spatial Economy*)، بحماس عن قابلية النموذج للتكيف في ميدان الجغرافيا الاقتصادية. «خلاصة القول، إن نموذج ديكسيت - ستيغلز يسمح لنا بالاستفادة من النظرية في هيئة كتل غير مترابطة في حين نجري أيضا الحسابات حولها».

عمل واسع المدى

اعترف ديكسيت بنفسه، بأن اهتماماته بالبحوث ومحاور تركيزه فيها اتسمت - إلى حد ما - بالمصادفة وانتهاز الفرص. وفي مؤلفه «الشغف والاحتراف: سمتان لعمل علماء الاقتصاد» (*Passion and Craft: Economists at Work*) الذي حرره مايكل سزنبيرغ (انظر الإطار ١) قال: «كنت على الدوام أكتبُ على المشكلة التالية التي تستحوذ على اهتمامي، وأعالجها بأي منهج وتقنيات تبدو لي ملائمة، ولم أفكر مطلقا في كيف يمكن أن تتفق مع رؤية أو منهجية عالمية شاملة».

الإطار ١

سن الثالثة والعشرين

كتب ديكسيت يقول: «من بين كل الدروس التي تعلمتها خلال ربيع قرن من البحوث، فإن الدرس الذي وجدته أكثر قيمة على الدوام هو أن يعمل المرء كما لو كان لا يزال في الثالثة والعشرين من عمره. ومن منظور الشباب هذا، أجد من الصعب أن أسدي النصيحة لأي ما كان».

ويقول ديكسيت، الذي يهوى كتب العلم الشعبي والهندسة، إنه يتظاهر بأن له عقلية شابة على نحو دائم حتى لا يقيدده تخصصه و«الحكمة المستخلصة من كونه في منتصف العمر».

وقد تبدو البحوث باعثة على الإحباط ومروعة لمن هم خارج المجال، لكنها ممتعة بالنسبة له. فيقول ديكسيت: «إن ذلك بالنسبة لي بمنزلة المكافئ العقلي للتسلق الحر لواجهة صخرية جديدة، باستخدام اليدين والقدمين فقط في الصعود، أو حتى التسلق المنفرد الحر، بدون استخدام أي حبال، أو رزة تغرز في الصخر، أو عدة تحمي المرء من السقوط».

وكان ديكسيت - الذي حصل على درجة الدكتوراه من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا - مارس التدريس في قسم الاقتصاد في جامعة برنستون من ١٩٨١ إلى ٢٠١٠. ونال التقدير مبكرا على عمله مع جوزيف ستيغلز عن الأسواق غير الكاملة وهو ما يشير إليه خبراء الاقتصاد على أنه المنافسة الاحتكارية. ويوفر هذا المفهوم أرضية نظرية وسيطة بين الاحتكار الصرف، الذي تسيطر فيه شركة واحدة على السوق، والمنافسة الكاملة، والتي يوجد بها متنافسون كثر بحيث لا يملك أي منهم نفوذا احتكاريا في السوق. ونال ديكسيت الشهرة على كتابه الدراسي عن التجارة الذي ألفه بالاشتراك مع عالم الاقتصاد النرويجي فيكتور نورمان، بعنوان نظرية التجارة الدولية (*The Theory of International Trade*)، ويحظى بتأثير بالغ، وعن عمله حول احتكار القلة والتنظيم الصناعي.

نموذج رائد

ترتكز مجموعة كبيرة من النظريات الاقتصادية حول التجارة الدولية والنمو الاقتصادي والجغرافيا الاقتصادية إلى النموذج الذي أصبح معروفا باسم نموذج «ديكسيت ستيغلز» - وهو النموذج الذي استخدمه «بول كروغمان» الذي نال جائزة نوبل في عام ٢٠٠٨. وقد أصبح هذا النموذج الذي نُشر للمرة الأولى في عام ١٩٧٧، بمثابة حجر الأساس يستند إليه الباحثون الآخرون في المجالات الجديدة لنظرية النمو الداخلي وعلم الاقتصاد الإقليمي والحضري - وهو ما وصفه الصحفي ديفيد وارث بأنه «أحد موديلات سيارات فولكس فاجن» الاقتصادية سهلة الاستخدام والتي كانت هي السمة المميزة لمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا» (دراسة 2006, Warsh).

وترجع الريادة في فكرة المنافسة الاحتكارية إلى جوان روبنسون وإدوارد تشمبرلين في الثلاثينيات من القرن الماضي وكانت هي قوام علم الاقتصاد الأساسي سنين عدة. لكن ستيغلز - الذي مضى في طريقه ليفوز بجائزة نوبل في عام ٢٠٠١ عن عمله مع مايكل سبنس وجورج أكيرلوف المعني بتحليل الأسواق غير المتماثلة في معلوماتها - وديكسيت مضيا بهذه الفكرة إلى مستوى جديد.

وفي كتاب من تأليف ستيفن براكان وبن هيدرا يطل ما أطلق عليه اسم ثورة في تحليل المنافسة غير الكاملة قال المؤلفان «إن نجاح نموذج ديكسيت - ستيغلز للمنافسة الاحتكارية ربما جاء كمفاجأة لدارسي تاريخ الفكر الاقتصادي، إذ أنه لم يكن بأية حال المحاولة الأولى لتناول الأسواق غير الكاملة أو المنافسة الاحتكارية».

وأضافا «بيد أنه في حين أخفقت المحاولات السابقة، ثبت أن منهج ديكسيت - ستيغلز ناجح تماما وتتوافر له إمكانيات أن يصبح الوضع الكلاسيكي».

من الرياضيات إلى علم الاقتصاد

لم يبدأ ديكسيت بعلم الاقتصاد. فقد كانت درجة البكالوريوس التي حصل عليها من جامعة مومباي في الرياضيات والفيزياء؛ وحصل على درجة بكالوريوس أخرى في الرياضيات من جامعة كامبريدج. وهو يرجع الفضل لأستاذه في هذه الكلية، هو كوربوس كريستي، في أنه وضعه على مسار جديد بأن اقترح عليه قراءة كتاب بول صمويلسون المعنون «أسس التحليل الاقتصادي» (*Foundation of Economic Analysis*) وكتاب غيرارد دبويه المعنون «نظرية القيمة» (*Theory of Value*).

وعندما وصل إلى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في عام ١٩٦٥، كان مهتما بعلم الاقتصاد لكنه رسميا كان طالبا في دراسة الماجستير في قسم بحوث العمليات. ويتذكر ديكسيت هذا قائلا: «أرسلوني للقاء فرانك فيشر لينصحنني بشأن أي مقرر للاقتصاد أدرسه». واستمع إلى قصتي ثم قال: «إن بحوث العمليات مملّة، فكلها لوغاريتيمات، تعال والتحق ببرنامج الدكتوراه في علم الاقتصاد».

ورغم أن ديكسيت يعترف بأن اهتمامه الأول هو «بالأفكار وليس بالناس»، فإنه يخرج عن مألوف عاداته ليكيّل الذناء لأفكار الآخرين وبحوثهم، خاصة لعالم الاقتصاد كروغان زميله في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ومحرر العمود في نيويورك تايمز، وصمويلسون، أول عالم اقتصاد أمريكي يحصل على جائزة نوبل، والذي يقول ديكسيت: إنه علّمه وحده علم الاقتصاد كموضوع.

ويقول ديكسيت: «فمن خلال عمله هو وأفكاره، أدركت أن كل المجالات التي ينقسم إليها علم الاقتصاد تقليديا هي أجزاء مترابطة بصورة لا انفصام لها في أحجية كبيرة، لها إطار مشترك من المفاهيم ومناهج التحليل - وهي الاختيار، والتوازن، والديناميكيات».

زمن الاضطراب

يسمى ديكسيت نفسه منظرًا، «وإن كان من نوع تطبيقي نسبيا». فقد بدأ مسيرته المهنية في البحوث في عام ١٩٦٨، عندما كان العالم الأكاديمي في أوروبا والولايات المتحدة في حالة اضطراب. ويقول ديكسيت: إن المناخ السائد آنذاك كان مناخ الجناح اليساري والغداء للمؤسسات بصورة قاطعة، وكان على البحوث أن تكون «مناسبة لمقتضى الحال» تقريبا. وفي هذا المناخ، سادت موضوعات مثل مشاكل البلدان الأقل تقدما والمناطق الحضرية والبيئة.

وقال ديكسيت في مقال كتبه في عام ١٩٩٤، بعنوان «نظامي في العمل (ليس!)»: «(My System of work (Not!)) إذا نظرنا للوراء لتلك السنوات، نجد أن كثيرا من البحوث «الملائمة لمقتضى الحال» في علم الاقتصاد لم تترك بصمة دائمة كبيرة على الموضوع. فقد ثبت أن مشاكل البلدان الأقل تقدما والمناطق الحضرية هي مشاكل سياسية حتى أن النصيحة الاقتصادية الجيدة ما كانت لتحقيق شيئا حتى إن استطعنا إساءها».

ويضيف «كلا، إن الموضوعات التي ثبت أن لها قيمة باقية في علم الاقتصاد كانت مختلفة تماما - على سبيل المثال نظرية التوقعات الرشيدة، ودور المعلومات والحوافز، وأخيرا في هذه الفترة، نظرية المباريات. وفي أوائل السبعينيات، كان كثير من هذه الأعمال يبدو مجردا وغير مناسب لمقتضى الحال وكان ليوصف بأنه غير سليم سياسيا لو كانت تلك العبارة قد وجدت في تلك الأيام».

لقد غير عمل ديكسيت مع فيكتور نورمان عن التجارة الدولية كيفية تفكير الناس في تحليل تساوي أسعار عوامل الإنتاج - وهو يبحث في كيفية تأثير التجارة الحرة في السلع الأساسية على أسعار تسليم المصنع مثل الأجور وأسعار الفائدة - ويعترف معظم من درسوا التجارة الدولية في الثمانينات والتسعينات بتأثيرها.

كما استخلص ديكسيت أفكارا متقنة مستمدة من نظرية المباريات لدراسة التنظيم الصناعي. وبحث عمله المعني بروادع الاستثمار والوصول إلى الأسواق في

ويمزح باري ناليبوف، المؤلف الذي شارك ديكسيت في كتاب حظي بالشعبية عن نظرية المباريات أسمايه «التفكير إستراتيجيا» (*Thinking Strategically*) قائلا: إن ديكسيت هو الطراز البشري لموسوعة ويكيبيديا المنشورة على الإنترنت. ويضيف «ففي كل الأوقات، وأيا كان الجزء من الاقتصاد هو المعني، كان ديكسيت قادرا على الرد على سؤالك، والمضي به قدما للأمام».

وألّف ديكسيت كذلك الكتاب الدراسي التمهيدي بعنوان «ألعاب الإستراتيجية» (*Games of Strategy*)، بالاشتراك مع سوزان سكيث، وهي طالبة سابقة له وحاليا أستاذة في كلية ويلسلي. ومن أصدقاء ديكسيت كذلك جون ناش - مؤسس نظرية المباريات الحديثة والفائز بجائزة نوبل والذي قدمت شخصيته في فيلم «عقل جميل» (*A Beautiful Mind*).

وإلى جانب نظرية المباريات ونموذجه الذي سمي باسمه، فإن ديكسيت مشهور بعمله المولّد للأفكار بشأن نظرية الاقتصاد الجزئي، والتجارة الدولية والنمو، والتنمية. لكن اهتماماته المتنوعة أفضت به إلى أن يكتب بإسهاب عن الحوكمة، ودور المؤسسات، والقانون، والديمقراطية في التنمية، والاستقطاب السياسي. ويقول: إن كتابه الأكثر شهرة وذكرًا هو الاستثمار في ظل عدم اليقين (*Investment under Uncertainty*)، الذي كتبه في عام ١٩٩٤ مع روبرت بندايك من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، عن كيفية اتخاذ الشركات خيارات الاستثمار.

ويوضح ذلك الكتاب عدم قابلية معظم قرارات الاستثمار في الأعمال للإلغاء وهي الصفة الملازمة لها. ويقترح ديكسيت وبندايك أسلوبا للتصدي للمخاطر التي يفرضها عدم القابلية للإلغاء وهو التمهّل قبل التصرف، فالتمهّل قيّم لأنه مع مرور الوقت ترد معلومات إضافية يمكن أن تضع جدواها إن اتخذ قرار غير قابل للإلغاء بالفعل.

وقد نادى ديكسيت باستخدام النهج نفسه في مجالات أخرى، وهو جوهر بحث استند إلى واقعة وردت في البرنامج التلفزيوني الذي يحظى بشعبية وهو ساينفيلد، وفيها يتعين على امرأة شابة أن تتخذ قرارا بشأن استعمال ما لديها من كمية محدودة من العطور المفضلة. (انظر الإطار ٢).

وقد قام ديكسيت الذي كان رئيسا لجمعية القياس الاقتصادي في عام ٢٠٠١ والرابطة الاقتصادية الأمريكية في عام ٢٠٠٨، بالتدريس في عدة جامعات في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وتولى مهام محددة في صندوق النقد الدولي ومؤسسة روسيل سيخ في نيويورك، وهي مؤسسة مكرسة للبحوث في العلوم الاجتماعية.

الإطار ٢

النموذج الخفي

في إحدى حلقات البرنامج التلفزيوني ساينفيلد، تكتشف «إيلين بنيس» أن العطر الذي تفضله تم سحبه من الأسواق، فتجول جميع المحال لجمع أكبر قدر ممكن، إلا أن هذا المخزون أصبح محدودا. لهذا كان يتعين على «إيلين» أن «تعيد تقييم عملية تصنيف أصدقائها». ففي كل مرة توجه لها الدعوة لحضور حفل ما، كان عليها أن تفكر مليا فيما إذا ما كان الأشخاص في الحفل جديرون بعطرها المفضل.

ويقول ديكسيت: وعندما تستخدم إيلين عطرها المفضل، فإنها بذلك تبذل فرصة توافره للاستخدام في حفل يحضره أشخاص أهم وأفضل. وقد طور ديكسيت نموذجا رياضيا لتحديد مفهوم جدارة العطر بصورة كمية منذ عدة سنوات خلّت، لكنه التزم الصمت لأن ذلك بدا غير ملائم في ذلك الوقت. وكتب ديكسيت بعد تقاعده من التدريس في أوائل هذه السنة يقول: «أمل أن تكون سني الكبيرة حاليا تعطيني من قيود الأدب السياسي».

قيام الشركات المعنية بالتجميع الإستراتيجي للطاقة الإنتاجية الفائضة كأسلوب لحماية ممارساتها الاحتكارية عن طريق إرهاب الوافدين الجدد إلى السوق.

ما الذي يحرك التنمية؟

أمضى ديكسيت العقد الماضي وهو يراقب ما يحرك التنمية الاقتصادية، بما في ذلك الحوكمة والمؤسسات، كما درس أحوال الدول الهشة – أي البلدان الفقيرة التي تتعافى من المنازعات أو الكوارث. ويقول: «لقد أهمل علماء الاقتصاد الحوكمة زمنا طويلا، ربما لأنهم كانوا يتوقعون أن توفرها الحكومة بكفاءة، بيد أن التجربة مع الاقتصادات الأقل تقدما والأخذة بالإصلاح والمشاهدات المستمدة من التاريخ الاقتصادي، جعلت علماء الاقتصاد يدرسون مؤسسات الحوكمة غير الحكومية» (دراسة Dixit 2008).

ويأتي ديكسيت بتشككه المألوف في هذا السياق.

ففي حين يقر بأهمية الديمقراطية وحقوق الملكية وإنفاذ العقود وتوفير البنية التحتية والخدمات العامة التي تدعم النشاط الاقتصادي الخاص، فإنه يقسو في نقده لمحاولات وضع قائمة بالبنود التي ترتكن إليها التنمية في البلدان منخفضة الدخل.

ويقول: «هناك تقليد قديم لأناس يقدمون وصفات لا تجدي نفعا». وقد أثار لغطا بمحاضرة ألقاها في البنك الدولي في عام ٢٠٠٥ قال عنها: إنه يأمل أن تكون استفزازية ونقدية، «على أن تفعل ذلك بشكل منصف».

وفي تلك المحاضرة، ذكر أن البحوث المكثفة عن دور المؤسسات في التنمية لم توفر في حالات كثيرة الصفات السياسية المفيدة أو التي يعول عليها. وأضاف «أمل أن أعطي الجميع حافزا لإمعان التفكير على نطاق أوسع وبجهد أكبر».

وفي حديث لاحق في بنك الاحتياطي الهندي، (دراسة Dixit, 2007)، قال: إن الإصلاحات التي تنتج من أسفل لأعلى والتي تتولد بصورة عفوية ستعمل أفضل من الإصلاحات المفروضة التي تنتج من أعلى لأسفل».

وقال فليبيد كيفر من البنك الدولي، والذي تولى الرد على ديكسيت في محاضرة عام ٢٠٠٥، إن أستاذ جامعة برنستون كان محقا في التشكك، لكن «الأفكار الكبيرة» يمكن أن تساعد في توجيه جداول أعمال الإصلاح القطرية.

وقال ديكسيت: إن العمل على نحو فعال يقتضي تنسيق التغيير وتحقيقه على عدة جبهات. وأضاف «إن الوصفة الوحيدة التي تجدي هي ما أسميه المتممات الإستراتيجية، أي أنه إذا اقتضى الأمر القيام بخمسة عشر عملا فإن أداء ثلاثة منها لن يجعلك تقطع ٢٠٪ من الطريق، بل سيجعلك تقطع ما هو أقل كثيرا، وبالتالي فإن الأمر يقتضي أن تنفذ الأعمال الخمسة عشر جميعها، أو على الأقل ١٣ أو ١٢ منها، قبل أن ترى أي تأثير كبير.

ومن ثم، فإن المتممات الإستراتيجية تأتي أولا، ثم الحظ ثانيا.

ويقول: «أعتقد أن نابليون قال إن السمعة الأكثر إثارة لإعجابها في جنرالاته كانت هي الحظ، وإن الشيء نفسه يصدق على الحكومات والبلدان».

علم الاقتصاد والأزمة

يرفض ديكسيت الذي تقاعد أخيرا من العمل المتفرغ في التدريس في جامعة برنستون، التعذيب الذي تعرض له بعض علماء الاقتصاد المعاقبين بعد الأزمة الاقتصادية العالمية. ويرى أنه «من الخطأ إلقاء اللوم على «العلم القاتم».

وهنا يقول ديكسيت: «أعتقد في واقع الأمر أن النظريات الاقتصادية خرجت من هذا الوضع في حال أفضل من الممارسات على مستوى السياسة... فقد سبق أن أشارت النظرية الاقتصادية والتحليل الاقتصادي المستنديين إلى نظريات ميعارية مناسبة إلى أن الوضع غير قابل للاستمرار، وأن فترة كساد أسعار المساكن ستحدث في وقت ما. والتوقيت أمر لا يمكن التنبؤ به دوما، ولكن المتيقن هو أن الجميع كانوا يعرفون أن الأمور ستسوء.

ويضيف قائلا: «لكن ما عجزنا عن التنبؤ به هو مدى ضخامة هذا كميّا – على سبيل المثال، مدى هبوط أسعار المساكن. وثانيا، عجزنا عن تحديد مدى ضخامة تأثير الأزمة المالية على الاقتصاد الحقيقي».

وفي ضوء الأزمة، كيف يتعين على البحوث الاقتصادية أن تتكيف مع الوضع؟

يرد ديكسيت على هذا التساؤل بقوله: «بالمضي قدما، وأعتقد أن بعضا من أكثر البحوث خصبا سيأتي من التكامل الأفضل بين النظرية المالية ونظرية الاقتصاد الكلي. ويمكن استكمال ذلك بالاعتراف على نحو أفضل بالأحداث الكبرى النادرة، وهو أمر موجود بالفعل في النظرية المالية، لكن الممارسة المالية له أقل مما يجب أن تكون عليه.

ثم يعلق قائلا: «لكن النقيصة الحقيقية لم تكن في النظرية الاقتصادية بقدر ما كانت، إن شئت القول، في عالم السياسة وعالم الأعمال، حيث تقبل الناس بعض الآراء الساذجة عن أعاجيب الأسواق بدرجة أكثر من اللازم بدون أن يلتفتوا إلى مئات المؤهلات التي أخبرنا عنها آدم سميث وعدد من علماء الاقتصاد الآخرين، والتي يتعين علينا جميعنا أن نحيط بها علما».

الأزمة لن تزول

يقول ديكسيت – وهو حاليا أستاذ زائر لجزء من العام في جامعة لينغنان في هونغ كونغ: إن الرسالة الكبرى التي يجب أن تكون لها الصدارة هي أن الأزمات ليست في سبيلها للزوال.

وقال: «يجب ألا نعتقد أنها قد قضي عليها. فالاعتقاد بأننا قضينا عليها وهم بل ربما وهم خطير، لأنك إن ظننت أنك قضيت على الأزمات، فإن واضعي السياسة ورجال الأعمال والمستهلكين، إلى آخره سيتصرفون بطرق أكثر تهورا ومن ثم يزيدون من احتمال نشوب الأزمات».

ويوصي بتوخي الحذر في أوقات الرخاء معلقا «إن الدرس الذي ينبغي تعلمه، وأخشى أنه لن يتم تعلمه مطلقا، هو أن أوقات الرخاء هي الأوقات المناسبة للحيلة المالية. فذلك هو الوقت الذي يتعين فيه على الحكومات أن تحقق فوائض كبيرة، حتى تستطيع إذا ما حلت الأزمات أو الركود – أن تنفق بحرية دون أن تقلق كثيرا بشأن الديون.

ويقول ديكسيت: «إن السبب في عدم الاستفادة من هذا الدرس مطلقا هو أن أوقات الرخاء الاقتصادي تفضي بصفة خاصة إلى التوهم بأن أوقات الشدة لن تعود أبدا». ■

جيريمي كليفت رئيس تحرير مجلة التمويل والتنمية.

المراجع:

Brakman, Steven, and Ben Heijdra, eds., 2004, The Monopolistic Competition Revolution in Retrospect (Cambridge, United Kingdom: Cambridge University Press).

Dixit, Avinash, 1994 “My System of Work (Not!)” The American Economist, Spring.

———, 2005, DEC Lecture, World Bank, April 21.

———, 2007, Reserve Bank of India “P.R. Brahmananda Memorial Lecture,” Mumbai, June 28.

———, 2008, “Economic Governance,” Intertic Lecture, University of Milan, Bicocca, Italy, June 5.

———, and Victor Norman, 1980, The Theory of International Trade: a dual, general equilibrium approach (London: J. Nisbet).

———, and Joseph E. Stiglitz, 1977, “Monopolistic Competition and Optimum Product Diversity,” American Economic Review, Vol. 67, No. 3, pp. 297–308.

Fujita, Masahisa, Paul Krugman, and Anthony Venables, 1999, The Spatial Economy: Cities, Regions, and International Trade (Cambridge, Massachusetts: MIT Press).

Szenberg, Michael, ed., 1998, Passion and Craft: Economists at Work (Ann Arbor, Michigan: University of Michigan).

Warsh, David, 2006, Knowledge and the Wealth of Nations (New York: Norton).